سيجموند فرويد

Sigmund Freud

(١٨٥٦ — ١٩٣٩)

للدكتور أمير بقطر
استاذ التربية بالجامعة الأميركية
ورئيس تحرير مجلة التربية الحديثة

ذهبت في عطلة عيد القيامة الماضي (مارس سنة ١٩٣٩) الى « هستد هيث » في انكلترا لزيارة الشيخ العالم للمرة الثانية ، وكنت قد زرته في عيادته الشهيرة في فينا منذ ثلاثة أعوام . « وهستدهيث » هذه ضاحية من أجمل ضواحي لندن يقصد اليها أصحاب المزاج والذوق . وبيوتاتها الصغيرة و«فلاتها» البديعة القائمة على ربوة عالية ، وتكتنفها حدائق وجنات تجري من تحتها الأنهار ، يقطنها عدد كبير من الكتاب والادباء والشعراء ورجال الفن ، وقد شاهدنا هناك من علماء النفس غير فرويد « سيرل برت » الاستاذ « بكلية الجامعة » من كليات جامعة لندن ، وقد لخصنا كتابه الشهير « الطفل المتأخر » في المقتطف ، ولخصت كتابه « الطفل الجانح » في مجلة التربية الآنسة فكرية زكي . ذهبنا لزيارة فرويد في مقرّه هناك فوجدناه عليلاً لا يرجى شفاؤه وقد أشرف على منتصف العقد التاسع من عمره . وبينما كان يناضل النضال الاخير في سبيل البقاء ، كانت المطابع تشتغل باخراج مؤلفه الاخير « موسى » . وقبل ان تغادر انكلترا كان كتابه معروضاً في واجهات المكاتب في جميع أنحاء انكلترا وسكوتلندا . وقد برهن فيه بوثائق تاريخية وحجج علمية ، أن ذلك النبي العظيم لم يكن اسرائيليًّا وأنه كان مصريًّا صميماً

واذ ما تحدثنا عن فرويد ، فانما نتحدث عن نظرية اهتزت لها الاوساط العلمية فسمع لهزتها دويّ لايدانيه في عالم الانسانية دويّ آخر سوى نظرية كارل ماركس في الاشتراكية . والحقيقة أن فرويد وماركس يمثلان غريزتين هما بلا منازع أقوى الغرائز البشرية ، بل هما أساس جميع هذه الغرائز او الدوافع الانسانية . فكارل ماركس يمثل غريزة المحافظة على النفس التي هي في الحقيقة أساس عدة غرائز هامة ، كالجوع والخوف والغضب والحسد والقتال . وفرويد يمثل غريزة المحافظة على النسل او الغريزة الجنسية ، التي هي في الواقع أساس عدة غرائز

هامة ، كالحب ، والغيرة ، والميل للجنس الآخر . وجميع المشكلات الاجتماعية وآلام الانسانية أفراداً وجماعات ، تعود في نظر كارل ماركس ، الى غريزة المحافظة على النفس وتتركز في المسائل الاقتصادية — المال . وجميع آلام الافراد واتجاهاتهم العامة ، تعود في نظر فرويد ، الى الغريزة الجنسية — المرأة ، وتتركز فيها . ومهما اختلف العلماء في مناقضة كل من هذين العبقريين او تأييدهما ، فانهم يتفقون على ان مشكلات الافراد والجماعات ، مهما تكن أوصافها وأشكالها ، تدور غالباً على محوري هاتين الغريزتين — المحافظة على النفس ، المحافظة على النسل — او المسائل الاقتصادية والمسائل الجنسية — او كما سميناها في مقال نشرناه في « الهلال » «المال والمرأة »

وقد كان « الفرد أدلر » الطبيب السيكولوجي النمساوي ، وقد توفي في فينا منذ سنوات ثلاث ، زميلاً لفرويد وشريكاً لهُ ، الى ان اختلف معهُ في الذهاب الى هذا الحدّ فيما يتعلق بالدوافع الجنسية (وكان فرويد يسميها libido للتفريق بينها وبين sex) وذهب في طريق آخر ونشر فيه مؤلفات متعددة تدور حول رأي آخر ملخصه أن اتجاهات المرء تأثر بحب السيطرة أكثر من تأثرها بأي شيء آخر . وما يقال عن « الفرد أدلر » يقال عن « يونج » الطبيب السيكولوجي السويسري ، وهو حي يرزق ، ويخالف كلاً من أدلر وفرويد في أنهُ يعزو هذه الاتجاهات الى قوة أخرى غير «حب السيطرة» وغير « الدافع الجنسي » وهذه القوة مزيج من عدة عناصر حيوية لا محل لذكرها الآن . وسأحاول في هذه المجالة أن أضع أمام القارىء فذلكة عن حياة « فرويد » وشيئاً من أهم آرائه

وُلد سيجموند فرويد من أبوين اسرائيليين في ٦ مايو سنة ١٨٥٦ ونشأ في بيئة اسرائيلية في مدينة فريبرج من أعمال مورافيا Friberg Moravia وانتقل مع افراد أسرته الى فينا عاصمة النمسا وهو في الرابعة من عمره وظل هناك الى أن طرده النازي مع من طرد من اليهود في العام الفائت على أثر دخول هتلر النمسا وابتلاعها لقمة سائغة . وكان فرويد في صغره لا يميل للطب ، ولكنهُ كان يهوى المباحث العلمية ويؤثرها على ما عداها ، الى أن وقع نظره على رسالة لغوته عنوانها Die Natur ، فتأثر بها تأثراً شديداً حتى اختار الطب دراسة له ومهنة ، وولع في سنواته الأولى بدراسة علم النبات على الأخص . واشتغل من سنة ١٨٧٦ - ١٨٨٢ في معمل الفسيولوجيا على يدي الدكتور بروك Brucke ، ومن ثم في معهد التشريح المخي على يدي الدكتور Meynert وتخرّج في الطب سنة ١٨٨١ . ولكنهُ ارتطم بصخرة الأزمة المالية ، كأكثر الأطباء في بدء عهدهم ، فأوقف مباحثه العلمية ، والتحق بعيادة خاصة بالأمراض العصبية

وفي سنة ١٨٨٤ التقى بالطبيب النمساوي الشهير يوسف بروير (Breuer) في فينا ، فقصّ عليه

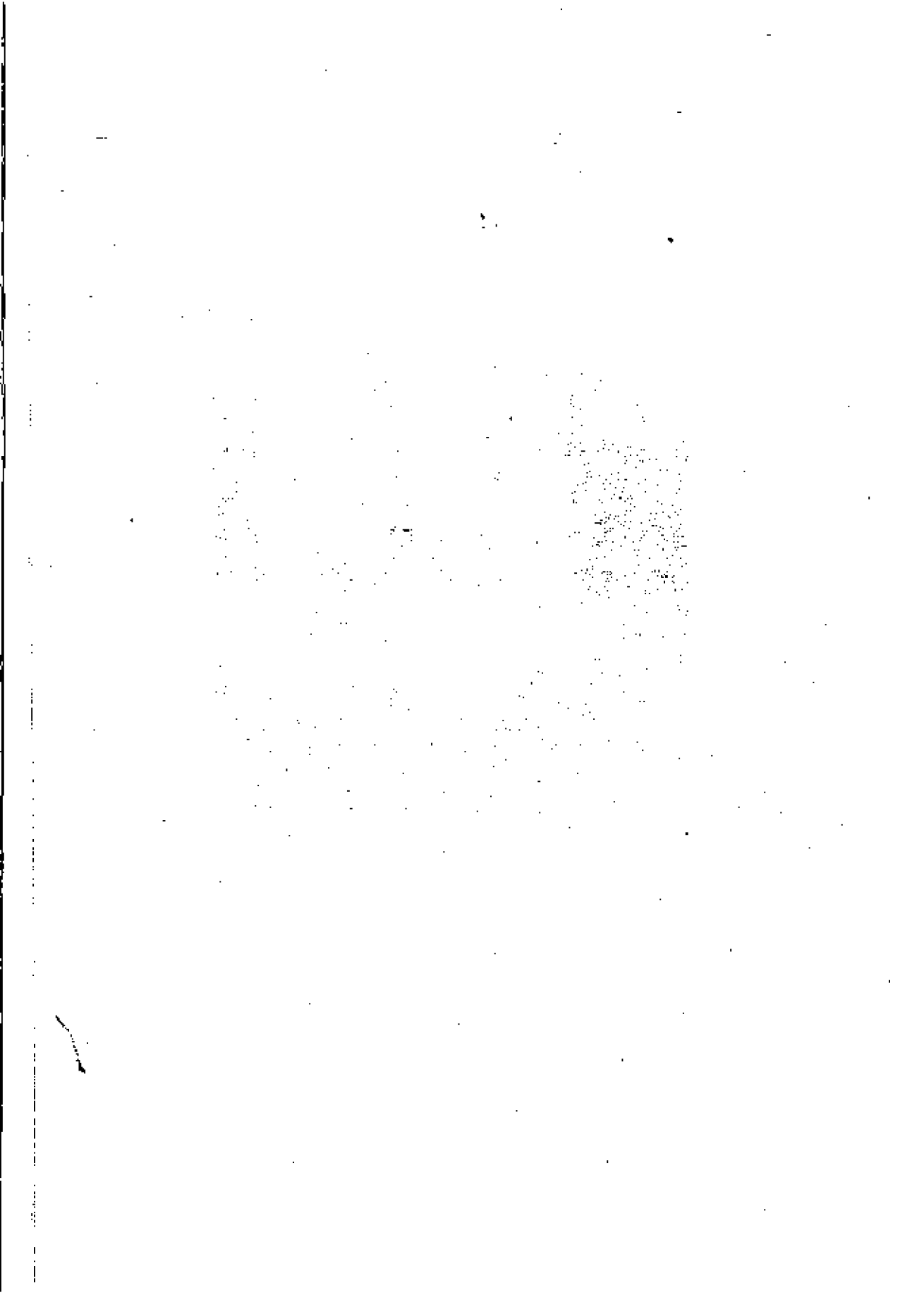

سيجموند فرويد
Sigmund Freud
(١٨٥٦ — ١٩٣٩)

هذا الاسير قصة عجيبة اشهرته حتى استولت على مشاعره ، وحوّلت اتجاهه العلمي الى ناحية خاصة من نواحي الأسرار البشرية . وتتلخص هذه القصة في أن « بروير » جاءت اليه شابة مصابة بالهستيريا (وهو مرض يصاب به النساء عادة دون الرجال ، وكلمة هستيريا ذاتها مأخوذة من الكلمة الاغريقية hysteron ومعناها « رحم المرأة » لاعتقادهم ان هناك صلة بين الرحم وهذا المرض) ، فلما نوّمها تنويماً مغناطيسيًّا أخذ يستدرجها في غيبوبتها hypnosis الى الظروف والملابسات التي كانت أصل هذا المرض ، فعلم منها انهُ يرجع الى ذكريات قديمة تتصل بفترة كانت تمرّض فيها والدها ، فأمرها ان تستعيد تلك الذكريات و « تعيش » في جوها ، وتستعرض عواطفها ، ففعلت ، وما لبثت أن شفيت . وقد أصبحت فيما بعد هذه الطريقة القرية cathartic أساس التحليل النفساني ، الذي اشتهر بها بعد « يوسف بروير » والطبيب الشهير الفرنسي شاركو Charcot وزميله بيير جانيه Pierre Janet

وفي سنة ١٨٨٥ رحل فرويد الى باريس حيث قضى أكثر من عام يدرس الأمراض العصبية على يدي « شاركو » ، وقد كان للتشجيع الأدبي الذي لاقاه هناك أثره في تلك الخطوة الجريئة التي قام بها فرويد بعدئذ ، وذلك انهُ نسب الهستريا إلى اسباب سيكولوجية ، وبحثها على ضوء تلك الأسباب . بيد أن دراساته ثارت عجاجاً من الاستياء بين رجال الطب ، ومنهم زملاؤه وأقرب المقربين اليه . وكان اكثر هذا الاستياء مصدره الحسد ، بيد أن بعضه كان يعزى الى ان مبادىء « فرويد » ثورة على الطب والعلم الذي لم يكن ليقر غير المسائل الجثمانية ، ولم يكن ليعترف بتلك الغوامض والأسرار اللاجثمانية التي تحدّث عنها فرويد . وظلّ فرويد الى حين وفاته بعدّ في بعض الدوائر العلمية والطبية من الهراطقة ، رغم ان جامعات « فرويد » وجامعات التحليل النفساني وجمعياته تملأ الآفاق

ونشر فرويد بعد ذلك مؤلفات متعددة خصوصاً في العجز عن النطق السليم aphasia والشلل المخي عند الاطفال . وفي سنة ١٨٩٣ حمل زميله « بروير » على نشر رسالة فصل فيها حكاية الفتاة المريضة بالهستريا السالفة الذكر ، وعاونه في كتابة مؤلف سنة ١٨٩٥ عن الهستريا ، وهو من اهم ما كتب في الموضوع وعنوانه بالالمانية Studien uber Hysterie

واختلف بعد ذلك مع « بروير » وفضّ شركته معهُ ، وأهمل طريقة التنويم المغنطيسي كوسيلة لاخراج الذكريات الدفينة من العقل الباطن ، واستبدلها بطريقة « تداعي المعاني الحر » free association . وهذه العبارة ومثلها كلمة complex التي تحدّث عنها فرويد كثيراً ، من العبارات التي صاغها الدكتور يونج Jung . وهذه الطريقة هي حقيقة نواة التحليل النفساني وقد أدى به البحث الى اكتشاف مسائل كثيرة خاصة بالامراض العصبية النفسية psychoneurosis

وطبق هذه فيما بعد على الاحوال العادية التي يكون فيها العقل سليماً من الامراض

وتتلخص مبادىء فرويد ونظرياته من هذه الناحية في أمور ثلاثة : —

اولها — ان بجانب العقل الواعي الذي نعرفه عقلاً سماه بالعقل الباطن ، وما هذا الا مخزن تتجمع فيه الرغائب والميول التي لا تسمح لنا العادات والتقاليد والقوانين والأديان والآداب العامة بالجهر بها وقد تناساها حقيقة او تناساها ظاهراً ، ولكنها على كل حال تتفجر كالبارود اذا لم نجد لها منفذاً . وليس الحدّ الفاصل بين العقلين من الضبط بحيث يمكن تعيينهُ ، وانما العكس صحيح ، فهما متداخلان إلى حد محدود . وقد شبّه أحد علماء النفس هذا التدخل بثلاث طبقات من الماء والهواء ، إذا تصورنا «عوامة من الخشب» ثابتة في نقطة معينة من البحر . فجزء من هذه العوّامة يكون دوماً في الهواء اي خارج الماء ، هذا الجزء يقابل «العقل الواعي» conscious وجزء يكون طوراً في الماء وطوراً في الهواء تبعاً للأمواج والرياح ، وهذا الجزء يقابل العقل الباطن subconscious ، وجزء يكون دوماً تحت الماء وهو يقابل العقل غير الواعي unconscious

ثانيها — ان تقسيم العقل إلى هذه الطبقات الواعية والباطنة واللاواعية يدعو إلى الكبت repression or inhibition ، وإن هذا الكبت كما قلنا يؤدي إلى الانفجار ، واختلال الحياة العقلية والامراض العصبية على اختلاف أنواعها ودرجاتها . على ان فرويد لم يدعُ بذلك إلى الإباحية أو إطلاق العنان للميول والشهوات والرغبات ، ولكنهُ وجدنا عن نظرية «الاعلاء» او «السامي» sublimation التي سماها أن الميول التي لا تتفق والآداب العامة والخلق الكريم والصحة وغيرها ، يمكن « تعليتها » والسموّ بها ، أي تحويل تيارها إلى ناحية اخرى من النواحي التي يستطيع صاحبها أن يظهر مواهبهُ الدفينة فيها ، سواء أكانت هذه المواهب فنية ، رياضية ، دينية ، أم أدبية . ويقول العلماء تطبيقاً لهذه النظرية ان الساعة التي تشتد فيها رغبة الفرد في إشباع دافع جنسي مثلاً ، هي عين الساعة التي يستطيع فيها تحويل تلك الرغبة الى نظم قصيدة اذا كان صاحبها شاعراً او مالاً للشعر ، او رسم صورة اذا كان صاحبها رساماً ، او اعداد تمثال اذا كان صاحبها مثالاً ، أو حلّ لغز علميّ أو اتيان عمل رياضي عظيم الخ الخ

ثالثها — وجود دافع جنسي عند الطفل بعد ولادته بقليل infantile sexuality فصّ الاصابع ، وفرك الفخذين احدهما بالآخر (ضرب من جلد عميره masturbation)، والرغبة في التمص على الثدي بين شفتيه حتى في غير اوقات الرضاع ، جميعها دلائل على هذا الدافع الجنسي ، وكلما كبر الطفل وجد ذاته مكبلاً بالحديد ، فيعمد الى كبت ميوله وينشأ عن ذلك النزاع الدائم بين العقل الباطن والعقل الواعي ، ويؤول الصراع في معظم الاحايين الى ارتباكات عصبية تبدو في

السنين المقبلة في الشباب والكهولة ، وليس ذلك وحسب ، بل يكون هذا الصراع عنصراً فعالاً في تكوين خلق الطفل

ولم يلق فرويد مقاومة في آرائه أكثر مما لاقى في الكلام عن الدوافع الجنسية عند الاطفال . ولا يختلف العلماء في ان الطفل يحس باللذة الجنسية قبل بلوغه سنّ الحلم ، فهو بلا شك يحس بها وهو في السنة الثانية من عمره فما فوق على الأقل . ولكنهم لا يوافقون فرويد في ما ذهب اليه من الاسترسال في الكلام عن تعلق الابن بأمه (Oedipus) او البنت بأبيها (Electra) تعلقاً جنسيًّا . فقد يكون هذا من قبيل الشواذ والشاذ لا يعوّل عليه . بيد أننا نقول اضافاً لفرويد ان معظم اللوم في هذا الاسترسال عائد على تابعيه او بعضهم ، لا على فرويد ذاته ، فالكثير من هؤلاء يبالغون في هذه المسألة مبالغة لا يسوغها العقل او الواقع . وقد سمعنا سيدة من أصل ألماني ، شديدة الغيرة على مذاهب فرويد ولها فيها مؤلفات هامة — سمعناها تخطب في جامعة من أشهر جامعات انكلترا في فبراير من هذا العام ، على جمهرة من الاساتذة ، ومما جاء في محاضرة من محاضراتها الثلاث ، أنها في تجاربها شاهدت غلاماً تبدو على وجهه علائم الغيرة والامتعاض كلما رأى مسهاراً مدقوقاً في حائط ، ولما ان حللته تحليلاً نفسانيًّا وجدت ان هذا الذي يرى يذكره بالعلاقة الجنسية بين أبيه وأمه . ولست أدري الى أي حدّ تبلغ سخافة السخفاء في هذا الموضوع ، وإن كانوا من علماء النفس

كل ما أراد ان يقوله فرويد هو ان الطفل الوليد (يوزغ) عطفه وحبه على كل من يتصل بهم من والدين واخوة ومربيات وخدم ، ويمتد هذا الحب مضاعفاً أضعافاً على أمه لشدة اتصاله بها ، فاذا ما اشتغلت بالاعمال المنزلية ، أو ألهاها الزوج عنه ، أخذ عداء الطفل نحوها يجد الى قلبه الرخص سبيلاً ، ودبت في نفسه الغيرة نحو الأب ، ومتى تكررت هذه الوقائع اشتد غيرة وكراهية ، ووجد نفسه بين عاملين ، عامل الحب نحو أحد والديه ، وعامل الكراهية او الغيرة . وسمى فرويد هذا التناقض الشاذ في حياة الطفل بالعاطفة المزدوجة ambivalence ولكن سرعان ما يبلغ الطفل سن الحلم حتى يوجه هذا الحب الذي يشمل عنصراً كبيراً من العاطفة الجنسية نحو فتاة إذا كان ذكراً ، او فتىً إذا كان أنثى . أما اذا لم يوجه التوجيه الصحيح لجهل الأبوين او لشذوذ خاص فيه فتبقى هذه العاطفة فيه كما هي أي ان الابن قد يستمرّ (وهذا في حكم النادر) مولعاً بأمه ، أو لا يهوى فتاة إلاّ اذا كانت شبيهة بها ، وكذلك البنت تستمر مولعة بأبيها أو لا تهوى شابًّا إلاّ اذا كان شبيهاً بأبيها ويصبح هذا « عقدة » Complex أو مرضاً يدعى كما سبق القول Oedipus في الحالة الأولى و Electra في الثانية . وكل من التسميتين مستعار من الاغريقية ،فقد كان لقدماء اليونان معرفة بهما ، وما على القارىء

إلاّ أن يرجع الى مآسي صوفوكليس « التراجيدي » لاستيضاح ذلك . ولا بد ان يذكر القراء رواية « أوديب الملك » التي كانت تمثل على المسرح المصري الى عهد قريب . ويوجد في دار الآثار المصرية لوحات برسمها اكتشفت على جدران قديمة في مصر العليا منذ سنوات تمثل وقائع هذه الرواية . ورواية أوديب Oedipus التي تزوجت فيها امرأة من أبنها . . . وفي اميركا رواية تمثيلية مشهورة ، لمؤلفها « أونيل » أشهر كتاب اميركا المسرحيين واسمها Mourning Becomes Electa وهي مأساة حديثة نسج مؤلفها على منوال صوفوكليس ، وتدل الكلمة الاخيرة على مغزاها

وما تحدث عنهُ فرويد من العقل الباطن أمر قد عرفه القدماء كما أسلفنا ، ومن أقوال ماركوس أوريليوس الروماني التي عثرنا عليها في مطالعاتنا قوله « أنظر الى الباطن تجد من الطيبات نبعاً لا ينضب معينه ، فكلما عملت فيه يد الحفر والتنقيب تدفق منهُ الماء وفار « كما تفور القدور » . وما جاء في الانجيل (متى ١٥ : ١٩) قوله . . . « لان من القلب تخرج أفكار شريرة ، قتل ، زنى ، فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف . . . »

وقد أدت نظرية العقل الباطن بفرويد الى الكلام عن الاحلام طويلاً ، وكتابه في الاحلام من أضخم مؤلفاته . فالعقل الباطن في نظره مصدر الاحلام والرؤى والخيالات الغريبة والمخاوف غير المعقولة ، وميول الهواة ورغباتهم ، ومنبع السلوك الشاذ ، وأحلام اليقظة ، والنسيان ، والتمسك بالآراء والمعتقدات تمسكاً أعمى . والفرق عنده بين عالم اليقظة وعالم الاحلام ان الاول متاع مشاع يشترك فيه الجميع ، أما الثاني فيحال فيه الفرد على الاستيداع فيصبح ذلك العالم له وحده

***

نعد الآن بالقارىء الى الحلقات الباقية من حياة فرويد : اشتغل فرويد بعد ذلك وحده في عيادة سيكولوجية مدة عشر سنوات ، وفي سنة ١٩٠٦ أشترك معه عدد من الزملاء أمثال أدلر ، وبرل ، وفرنزي ، وارلست ، وجونز ، ويونج — ويذكر القراء على الاول الاول والاخير منهم — وانضم اليهم سدجر ، وشبتكل وغيرهم من علماء التحليل النفساني الذين التقى بهم سنة ١٩٠٨ عند الشام اول مؤتمر للتحليل النفساني ، ذلك المؤتمر الذي اصبح منذ ذلك الحين دورياً ينعقد مرة كل سنتين . وفي سنة ١٩١٠ تكونت جماعة دولية انتشرت فروعها في جميع أنحاء اوربا وأميركا ، ويرجع عهد الجماعة البريطانية الى سنة ١٩١٣ وهذه الجماعة ثلاث مجلات رسمية . وقد بلغ عدد الاخصائيين المعروفين في التحليل النفساني منذ سنوات مائتي عالم ، ولا بد ان هذا العدد قد تضاعف اليوم . ولم ينحصر أثر فرويد في علماء التحليل النفساني ، ولكنه تعداهم الى جميع علماء النفس . ورغم ما لقيه من

المقاومة الشديدة — وما تلقاه آراؤه الى يومنا هذا — خصوصاً في موضوع النقل الباطن والشأن الكبير الذي يعلقهُ بالعاطفة الجنسية ، قد دفع بلا شك علم النفس الى الامام ، ووضعهُ في مصاف العلوم الطبيعية

ومما يدل على منزلة فرويد انهُ عند ما بلغ السبعين من عمره انهالت عليه التهانيء من الأفراد والهيئات العلمية من كل صوب

وفي الالمانية مؤلف ضخم به تاريخ حياته ، وأهم رسائله العلمية ، ويغلب على الظن ان الالمان قد أحرقوها عند طرده من قبلنا مع سائر العلماء اليهود . ولكن معهد الدراسات التحليلية في لندن نشر أهم كتبه ورسائله بالانكليزية ، علاوة على انهُ يصدر مجلة « التحليل النفساني الدولية »

***

وبين العلماء من يأسف لتحول فرويد من شفاء الامراض بالتنويم المغناطيسي الى شفائها بالتحليل النفساني . فقد ظل التنويم — وكانوا يسمونهُ « المسمرة » Mesmerism نسبة الى العالم « مسمر » Franz Anton Mesmer ويقول هؤلاء ان التنويم كوسيلة لشفاء الامراض معروف منذ القدم ، ويذهب « كلفورد الن » مؤلف ذلك الكتاب العظيم « الاكتشافات الحديثة في السيكولوجيا الطبية » — يذهب الى مدى بعيد بقوله ان الاطباء كانوا منوّمين . وقد استعمل طبيب بريطاني اسمه « ازدايل » James Esdaile التنويم في ٣٠٠ عملية جراحية في الهند ونجحت جميعها . ويندبون سوء الحظ لاكتشاف الكلوروفورم الذي قضى على تجارب ذلك الطبيب وغيره قضاء مبرماً ، اذ لو تأخر هذا الاكتشاف عشرين سنة ، لكان للتنويم شأن كبير في الجراحة اليوم . ولكن ... بالرغم من هذا كله فان جمهرة العلماء اليوم يؤثرون التحليل النفساني على التنويم المغنطيسي في شفاء الامراض النفسية Psychotherapy

ولا يسع المطلع الا ان يدهش لما طرأ على آراء كبار الأطباء من التغير في نظرتهم الى علم النفس والتحليل النفساني . فبعد أن كانوا جميعهم (رغم ان اعظم علماء النفس أطباء) تقريباً ينظرون الى العلوم النفسية نظرة الازدراء والاحتقار ، أصبح عدد يذكر من أطبائهم يطبق مبادىء تلك العلوم على الحالات التي تعرض عليهم . وقد شاهدنا هذه الظاهرة في هذا العام بكثرة غريبة في انكلترا ، وقد كانت الى عهد قريب شديدة العداء من هذه الناحية ، وكانت تتهم اميركا بتطرفها . ونظرة واحدة الى مكتبات الجامعات وواجهات المكاتب وساعد العلوم النفسية الطبية في بريطانيا ، وتدل على الاخص ، يؤيد ما نقول . وقد نشط الأطباء في

الأعوام الأخيرة بعد أن كتب دكتوراً كيلّ مُنتي كتابه «بيان ميشيل» والدكتور كرون[١] كتابه الشهير The Citade (وقد وضع في شريط سيماني ناطق)، فأغرقوا السوق الادبي بطوفان من الكتب التي يجاوز فيها مؤلفوها تأليف العلوم النفسية وبيان ضرورتها في معالجة المريض في جميع الاحوال ...

وإني أنصح القارىء الذي يهمه هذا الموضوع ان يقرأ الكتاب الاخير الذي وضعهُ سر لنجدن برون الطبيب الشهير والاستاذ بجامعة كمبردج سابقاً[٢] وقد ظهر في ربيع هذا العام، وأن يطلع على المؤلف الطبي الذي وضعهُ Loomis[٣] في موضوع «غرفة الاستشارة» والمؤلف طبيب لأمراض النساء، وقد ضمّن كتابه زبدة اختباراته ورسم للقارىء صورة بديعة لأنهار الدموع التي سكبها النساء فوق مكتبه في «غرفة الاستشارة». وأهيب بالقارىء ان يقرأ أيضاً المقالات العلمية التي ما برح «كرون» و«الكس كارل» ينشرانها في المجلات الاميركية الشهرية، اما كتب فرويد فني متناول الذين يهتمون بالتوسع في هذا البحث

الا ان المبادىء التي أوردها فرويد في مؤلفه الجامع «الأحلام» لا يقرهُ عليها العلماء الا من ناحية واحدة وهي أن الأحلام منفذ تنفذ منهُ ما تكدّس في العقل الباطن من الرغبات المكبوتة. ويكاد «يونج» يتفق معهُ في نظرية الأحلام من حيث علاقتها بالماضي والحاضر، على أن «يونج» يزيد على ذلك أن الأحلام أيضاً تدل على المستقبل بمعنى أنها تبين اتجاه الهدف الذي يرمي اليهِ صاحب الحلم في المستقبل

واهل علماء النفس يجمعون اليوم على ان كلاً من المذاهب السيكولوجية لها مكانها في الهيئة العلمية. «فالفرد ادلر» قد أظهر لنا بصورة لا تقبل الشك ان «حب السيطرة والظهور» لهُ أكبر أثر في تكوين الشخصية، كما ان «كارل ماركس» في عالم الاقتصاد قد برهن لنا ما للشعور بالفقر أو بقلة الانتباه من الأثر في شخصية الافراد والجماعات، وكما جاهد فرويد في الدفاع عن العاطفة الجنسية كأكبر عامل يؤثر في جميع الافراد. ولعل «لنجدن برون» في كتابه السالف الذكر قد أبدع في تعليقه على هؤلاء في قوله «ان الفرد في سن الحُلُم (اي من يعيش في ذلك الطور وان كبر) يؤثر «فرويد» وفي سن الرجولة يؤثر «أدلر» وفي سن الشيخوخة يؤثر «يونج» وهو الذي يتكلم عن مجموعة عناصر كما أسلفنا

---

(١) Dr. J. A. Cronin

(٢) Sir W. Langdon-Brown, "Thus We Are Men,

(٣) Frederic Loomis, "Consulting Room»

بقي علينا أن نقول كلمة عن فضل فرويد على علماء التربية وأثره في مبادىء التربية ذاتها. واول ما يبدو واضحاً في جهاد « فرويد » أنه أخرج الكلام عن الموضوعات الجنسية من سحب الحياء وغيوم الغموض والارتباك ، إلى سماء الصراحة ، وعلّم المهتمين بشؤون الطفل من والدين ومعلمين ومربين ومربيات ، أن يواجهوا الحقيقة كما هي ، ويحدثوا النشء في مشكلاتهم الجنسية ، كما يحدثهم في كل ما يطالبون بالاجابة عنه ، مما تدفعهم اليه طبيعة حب الاستطلاع وإن إخفاء المعلومات الجوهرية عن النشء في بدء عهده بالاصطدام بها وبال عليه

***

وثانياً بيّن « فرويد » بطريقة لا تقبل الجدل أنّ الشذوذ الجنسي « مرض » أو « عقدة » Complex كما يسميه ، ينبغي علاجها ، وان كثيراً من الانحراف الجنسي perversion يكون نتيجة خطأ في تربية الطفل . فاللواط مثلاً لا يعالج بإنزال العقوبة الصارمة ، أو بالنظر إلى الطفل او الشاب كمجرم يستحق القصاص ، ولكنهُ يعالج مما تعالج به الامراض العقلية ، إذ انهُ قد يكون نتيجة لطبيعة كامنة فيه ، وهذا نادر ، ولكنهُ يكون في الغالب فريسة الجهل وإهمال الوالدين . كذلك الحال فيما يتعلق « بعقدة اوديب » التي سبقت الاشارة اليها

***

وثالثاً انهُ مهما يكن « فرويد » مسرفاً في الشأن الكبير الذي يعلقهُ بالعاطفة الجنسية ، فان من واجب المربين مراعاتها في حلّ مشكلات النشء إذ انها في كثير من الأحوال تكون اساساً لارتباكات في حياة الطالب المدرسية منها والمنزلية . ومعالجة هذه الارتباكات بالتأنيب او العقوبة البدنية ، كضرب المريض او المجنون حتى يشفى . ولا يخفى ان الناس كانوا الى عهد قريب يعزلون بالمجنون أشد العقوبات ، ظناً منهم ان شأنه شأن المجرم . ومما يدل على ان « فرويد » واثق العقيدة في هذه النقطة انهُ أشار الى « الساديزم » و « الماسوشزم » [1] كمتقدٍ ينبغي علاجها ، وان صاحبها في معظم الاحايين لا ذنب له فيها ، لانها نتيجة « تهيج أستي anaesthetism » ولا يخفى أن في كلٍّ من هذين المرضين لا يستطيع المجتمع إلى يومنا هذا العطف على صاحبه او النظر اليه كريض جدير بالعلاج

« من مجلة التربية الحديثة بتصرف يسير »

---

(١) « الساديزم » شذوذ جنسي يدفع صاحبه الى ضرب آخر او ايلامه اشباعاً لعاطفة جنسية شاذة فيه . وينسب هذا المرض الى المركيز دي ساد (Marquise de Sad) (١٧٤٠ — ١٨١٤) وقد كتب وهو محبوس في سجن الباستيل روايات مخلة بالآداب وضمنه في مستشفى المجاذيب مرتين

أما الماسوشزم او المازوكزم فهو شذوذ جنسي يتلذذ صاحبه بان يضربه او يؤلمه آخر . أي انه عكس سابقه وينسب الى الكاتب النمساوي « مسوك » Sacher Masoch (١٨٣٥ — ١٨٩٥)